مدينة جلاجل

للدكتور محمد بن سعد الشويعر

في شمال مدينة الرياض ، وعلى امتداد الخط المعبد ، الذي يربط عاصمة المملكة بمقاطعة القصيم ، ثم المدينة المنورة ، توجد منطقة زراعية ، كانت من اخصب بلاد نجد ، واكثرها نخيلا ونماء ، انها منطقة سدير ، المتعددة المدن والقرى ٠

واذا ذكر سدير فان مدينة جلاجل التي تبعـــد عن الرياض « ٢٠٠ » كيلومترا تقريبا ، تمثل الصدارة اسما وزراعة ، وموقعـا واتســـاعا ٠

ان الحديث عن هذه المدينـــة ليقتضي من البـــاحث ربط ماضيها بحاضرها ، وتسجيل كل ما رصد عنها ، بعد تقليب صـــــفحات المراجع العربية ، التي تهتم بالمواضع في جزيرة العرب ، ليسترشد ويستفيد ويستدل على مكانة اي موقع بما دار حوله ، كما لا يغرب عن باله الاستئناس بالمدلول اللغوي ، اذ كان لأجدادنا العرب طريقة مستمدة من الاشتقاقات اللفظية ، الدالة على المعنى المراد وصفه ، رغم أن لهم كلمة مشهورة في عدم الركون على صفحات المسببات : « الأسماء لا تعلل » ٠

وقبل التحدث عن هذه المدينة ، فانني أستميح المطلع عذرا ــ وخاصة أبناء المنطقة بالذات ٠٠ الذين قد يعرفون خفاياها وأسرارها ، والمسميات الجديدة لما حولها ، وما حيك من قصص وروايات درجت على الألســـن ،

مما تبدل مع الزمن . عما عرفه أجدادنا العرب في أشعارهم . أو أوصافهم . أو لم أجد مستندا يمكن الركون اليه كمرجع .

ذلك أن عذري هذا يترك الباب مفتوحا لمزيد من المعلومات من جهة . ولنفض الطرف عما تتضمنه جوانب هذه الأسطر من قصور — والكمال لله وحـده — .

ومن جهة ثالثة فان ابن بشر رحمه الله . وهو الابن البار لهـــــذه المدينة حيث عاش في ربوعها . يعترف في أكثر من موضع من كتابه بتقصير أبناء جلدته في رصد تاريخ وآثار مدنهم وقراهم . لا يولي ذلك أهميـة تذكر بالنسبة لجلاجل .

التعريف اللغـوي :

لعـل هذه التسمية قد جاءت من الاشـــتقاقات اللغوية في الفعـل « جلجل » . ذلك أن واضع الاسم لبعض الأعلام العربية . يراعي فيهـــا الدلالة اللفظية من المعنى . كما قد يكون من الأسماء دلالات لا تنبيء عن اللفظ والاشتقاق .

وقد يتبدى لنا من أثناء العرض في التعريف اللغوي . نادرة لغوية . أو تعليلية تقارب مايدركه أحد القراء فيجعلها نبراسا على التسمية ... أو مؤشرة اليها .

وعلى العموم . فقد أشرنا من قبل الى أن « الأسماء لا تعلل » .. ونطلق هذا عندما نجد أراء متباينة . أو لا نجد شيئا البتة . حول أصل التسمية وسببها .

قال الزبيدي [١١٤٥ — ١٢٠٥هـ] في تاج العروس : التجلجل : السؤوخ في الأرض . ومنه الحديث : « خرج رجل في الجاهلية يتبختر فأمر الله الأرض أن تخسف به . فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة » .

والتجلجل : التحرك وهو مطاوع الجلجلة . وأيضا التضعضع يقال تجلجلت قواعد البنيان أي تضعضعت .

والجلجلة التحريك : يقال : جلجلته اذا حركته بيدك ، فتجلجل ٠ قال أوس بن حجر : ـ

فجلجلها طورين ثم أمرهـــا
كما أرسلت مخشوبة لم تخـــرم

ومنه جلجل الياسر القداح اذا حركها ٠

والجلجلة : شدة الصوت ، وأيضا صوت الرعد ، والوعيد ٠

قال الراغب : أما الجلجلة فحكاية الصوت ، وليس من ذلك الأصل في شيء ، ومنه سحاب « مجلجل » أي مصوت ، وغيث جلجال كذلك ، ورجل مجلجل بالفتح ، أي على صيغة اسم المفعول : ظريف جدا ، لا عيب فيه ، والمجلجل من الابل ما تحت شدته وقوته ، والمجلجل بالكسر السيد القوي أو البعيد الصوت ، وقيل هو الجريء الدفاع المنطيق ، الذي يخاطر بنفسه ، وأيضا الكثير من الأعداد ٠ عن ابن عباد ٠

والجلجــل بالضم الجـرس الصــغير ، ومنـــه ابل مجلجـــلة علق عليها الجلجل ، ودارة جلجل في قول امرىء القيس : « ولا سيما يوما بدارة جلجل » ، موضع بنجد في دار الضباب ، مما يواجـــه ديار فزارة ، قاله مضر ٠

والجلجل : محركة الأمر العظيم ، والهين الحقير ٠ ضد ٠

والجلجلان بالضم ثمر الكزبرة ، وفي لغة اليمن : حب السمسم ، ومن المجاز المجلجلان : حبة القلب ٠ يقال : استقر هذا في جلجلان قلبه ، أي في سويدائه ، وكلام خرج من جلجلان القلب الى قمع الأذن ، وهو في الأصل السمسم قاله الزمخشري ٠

وجلجلة : خلطة ، وجلجل الفرس صفا صهيله ٠٠ وقال ابن عباد : جلجل الوتر أي شد فتله ٠

وجلاجل بالفتح والضم موضع ، وهو جبل من جبال الدهناء ٠

ووقع في بعض كتب اللغة جلاجل بالفتح ، وهو موضـــع آخر ، وفي بعض حلاحل لضم الحـــاء المهملة ٠٠ قال الصـــاغاني وكلاهما خلف [٧ : ٢٦٠ ـ ٢٦١] ٠

ومثل هذا الكلام جاء في أكثر كتب اللغة ، ولراغب الفائدة مراجعة لسان العرب لابن منظور [٦٣٠ ــ ٧١١هـ] الجزء ١٣ ص ١٢٨ ــ ١٣١ ، والقاموس المحيط الجزء ٣ ص ٣٥٠ .

ومن هذه التعريفات نستنتج أن التسمية لهذا الموضع ــ أو لأكثر من موضع ــ جاءت من أحد الاشتقاقات . فاما أنه من الصفاء والنقاوة ، أخذا من جلجلة الفرس .. أو من شد فتل الوتر ، أي جلجلته .. أو من تمكين المحبة لهذا الموضع بحيث يمثل شغاف القلب ، لأن الجلجلان يعبر بها مجازا عن حبة القلب .. ويقارب هذا الظرافة . والتبرئة من العيوب ، حيث ترد صيغة اسم المفعول منه لرجل مجلجل .

ومن هذا فان الباحث اللغوي يتلمس مدلولا ينبيء عن المكان ، وقد يجانبه الحظ أو يوافقه ، ولعل سائلا يقول : ألا تعتبر تســـمية جلاجل هذه ، جاءت لهذا الموضع بالذات باسم رجل هو أول من سكنها ، وأخــذت التسمية منه .. كما نرى في كثير من التسميات في الجزيرة العربية بصفة خاصة .. اما باسم أكمة جبلية ، أو حادثة ، أو مناسبة ، أو صـــــفة ، أو علم الانسان أو حيوان .. وقد يستدل هذا السائل بما ذكره ابن بشر في تاريخه ضمن حوادث عام ١٢٣٥هـ عندما قال : ثم ثار محمد بن عبد الله ابن جلاجل ، بأهل جلاجل على آل سويد ، وحصروهم في قصرهم ، وأخرجوهم منه بالأمان ، ونزل القصر [ص ٢١٩] ، وان هؤلاء لم يترأسوا في البلد ، ويتعاطف معهم الناس ، الا لأنهم مؤسسوها وأهلها الأصليون ..

وهذه وجهة نظر تخمينية ، ومالم يوجد ما يؤيدها ، فانني استبعدها ، ولا أرى ملاءمتها لأنه هو كان هذا واردا لما أغفله ابن بشر ، الذين يعتبر من المهتمين بنجد عموما ، وبجلاجل بصفة خاصة ، حيث نشأ وترعرع ، واهتم ورصد تاريخه في ربوعها .. ومن جهة أخرى فقد يكون العكس هو الأصوب ، بأن جد هذا الرجل الأعلى هو الذي سمي ابنه على البلد ، فتكون بهذا الاعتبار : تسمية البلد أسبق .. ونحن في هذا العصر لا نعدم أناسا يسمون أولادهم بنين وبنات : مكة ، مدينة ، روضة ، شقراء ، رياض ، أشيقر وخاصة اخواننا الوافدين الذين ولد لهم في هذه المدن ، اذ يسجلون ذلك للذكرى .

كما أن من المعروف في بادية بلادنا تسمية المواليد ، بالمواضع التي مروا بها . أو الحادثة التي تشغل أذهانهم ساعة الولادة .

وماهذا أو ذاك الا استنتاجات لم نعثر على ما يؤيد بعضها · مما يجعل المجال واسعا أمام المستزيد ·

والشيخ عبد الله بن خميس يقول في معجم اليمامة : ووادي جلاجل المعروف ، وادي المياه ، فلعل جلجلة الماء به جعلته يسمى بذلك [١ : ٢٧٣] ·

دارة جلجـل :

والحديث عن جلاجل كموضع يقتضي التعرض لدارة جلجل ، وعما اذا كان بين التسميتين علاقة في المقارنة ··

لقد كان للعرب دارات تمثل تجمعاتهم ، ومرنى أفئدتهم ، ولقد رأى الدكتور عبد الله عسيلان في بحث له في مجلة العرب ج ١ ـ ٢ رجب عام ١٣٨٩هـ ، أن الدارات تشكل جزءا من البيئة العربية الجاهلية ، جرت للعرب فيها أحداث وذريات ، عبروا عنها بأبيات من الشعر [ص ١٣] ·

وشيخنا حمد الجاسر أورد في بحث مستفيض له بمجلة العرب السنة الرابعة ج ١ ، ٢ ، ٣ لعام ١٣٨٩هـ ، عن دارات العرب تعليلا لما حفل به الشعر القديم من ذكر للدارات ، بأن القوم يتخذونهـــا منزلا لهم ، لاتصافها بكل الصفات الملائمة للمنزل ، فهي لينة سهلة لمبـــارك الابل ، ولمرابض الغنم ، ولجلوس القوم ، ثم هي مرتفعة عن مجاري الســـيول ، محاطة بتلال ، أو جبال ، تحمي من الرياح في الغالب ، ولخصوبة أرضها ، فهي مرتع للبهم والغنم ، وملعب للصبي ، وهي في الوقت نفسه متسع لأكبر عدد من بيوت الحي [ص ١] ·

ودارات العرب ، وان كانت كثيرة ، فان الذي يهمنا منها دارة جلجل ، وتحديد مكانها ·

وأرى أن الشيخ حمد الجاسر في بحثه عن دارات العرب ، هو أوفى من تكلم عن دارة جلجل ، ومن المفيد ايراد ما أشار اليه ، ثم استظهار ما نميل اليه من ذلك ، قال : « دارة جلجل : هذه من أشهر الدارات ، أورد ياقوت في تحديدها :

١ ـ قول ابن السكيت في شرح قول امرىء القيس :

ألا رب يوم لك منهن صـــــالح

ولا ســـيما يوم بدارة جلجـــل

قال : دارة جلجل بالحمى ، ونقل مثل ذلك عن الأصمعي وأبي عبيدة •

٢ ــ ويقال بغمر ذي كندة •

٣ ــ وقال ابن دريد في كتاب البنين والبنات : دارة جلجل بين شعبي ، وبين حسلات ، وبين وادي المياه ، وبين البردان •• وهي في دار الضباب ، مما يواجه نخيل بني فزارة •

٤ ــ ونقل عن الأصمعي بأنها من منازل حجر الكندي بنجد •

٥ ــ وأورد في دارة واسط بيتا يدل على تقارب الدارتين •

هذا ملخص ما أورده ياقوت في تحديدها ، على أن الهجري ، وهو ممن عرف نجدا معرفة مشاهدة وعلم ، قال عن دارة جلجل : وجلجل يمانية من دور بني الحارث بن كعب •

ويرى الشيخ حمد بأن الصواب مع الهجري ، اذ لو كانت في الحمى لكثر ذكرها على ألسنة شعرائه ، على أنه يجد قولا للأصمعي ، وهو يحدد موضع مملكة حجر الكندي بنجد بقوله : مابين طمية الى حمى ضرية ، الى دارة جلجل من العتيق ، الى بطن نخلة الشامية ، فهذه العبارة ، وان كانت صحيحة تدل على أن دارة جلجل ، ليست كما حددها ابن دريد ، ذلك التحديد الدقيق ، بين مواضع لاتزال كلها معروفة في غرب بلدة ضرية ••

وقد أورد ياقوت أيضا لابن دريد قوله : البردان ماء للضباب ، قرب دارة جلجل ، والبردان هذا يقع بقرب وادي المياه ، الواقع غرب ضرية ، والذي هو جزء من وادي الجريب [انتهى كلام الشيخ حمد ص ٧ ــ ٨] •

والشيخ محمد بن بليهـــد [••• ــ ١٣٧٨هـ] في كتابه صـــحيح الأخبار ، يرى عندما تعرض لبيت امرىء القيس ، الذي جاء فيـــه دارة جلجل : أن الدارات في كلام العرب كثيرة ، مضافة وغير مضافة •• وأما دارة جلجل التي عناها امرؤ القيس ، فهي باقية الى اليوم في بطن الهضبة ، تقع في جهته الجنوبية الشرقية ، ويقال لها اليوم « دارة جلجل » ، وهي الموضع الذي عناه عمرو بن الخثارم البجلي بقوله :

وكنا كانا اصـــل دارة جلجـــــل

يــــدل عــلى اشـــــياله يتهمهم

وهي دارة عظيمة تحيط بها هضبات باقية على هذا الاسم ، وفي كتاب جزيرة العرب للأصمعي « دارة جلجل » . من منازل حجر الكندي بنجد . وهذه العبارة صحيحة [١ : ٢٠] .

وقد دار بين الشيخ محمـــد ، وخالد الفرج ، الذي علق على دارة جلجل ، واسترسل في استشهاده ببلدة جلاجل التي في سدير ، وكان من ضمن قول خالد في مجلة الحج عدد جمادى الثانية عام ١٣٧١هـ العدد الثاني عشر ، أن في الدهناء موضعا يقال له دارة جلجل . وأن قريبا من أبها موضعا يقال له دارة جلجل . وحوارهما هذا تلخص في رأي الشيخ ابن بليهد بأنه في رأيه هذا يعتمد على ما يورده أهل المعاجم ، وكلام الأصمعي ، ولا يعتمد على الظن والتخمين [٣ : ٢٦١] .

أما الشيخ سعد بن جنيدل ففي تعقيبه على دارات العرب قال : دارة جلجل : ذكرها الشيخ حمد ، وأورد ذكرها كثيرا من الأقوال ، ورجح قول الهجري في تحديدها . وقال : ان الهجري وهو ممن عرف نجدا معرفة مشاهدة وعلم ، قال عن دارة جلجل - وجلجل يمانية من دور بني الحارث بن كعب . وأرى أن الصواب مع الهجري . وعلل ما قاله تعليلا يطمأن له - أ-هـ . قلت ـ والكلام للجنيدل ـ والمعروف في هذا العهد أنه لا يوجـد في عاليه نجد أو ناحيته الجنوبية موضع بهذا الاسم ، أو قريب منه . الا موضع واحد . هو جبال « جلاجل » الواقعة في الهضب الأسمر . هضب الدواسر ، ويحتمل أن كلمة جلاجل محرفة من كلمة جلجل . ويؤيد ذلك قرب هذه الجبال من المواضع التي ذكرها امرؤ القيس في شعره مثـــل : الدحول ، وحومل ، وصاحتين ، وعمايتين ، وغاضر ، والغمري ، وكلها في جنوب نجد ، وفي جبال جلاجل ، دارة واسعة واقعة في وسط الجبال تحيط بجهاتها سلاسل سوداء ، وهي من أوسع الدارات ، وأطيبها تربة ، وأكثرها نباتا ، ولهذا نجد بعضا من البدو يسمونها « روضة جلاجل » . بينما الأخرون يسمونها « دارة جلجل » . ومعالمها الجغرافية قد أعطتها صـــفات الدارة الكاملة [مجلة العرب جـ ١١ م ٥] .

وأجد في هذا أوافق الشيخ حمد فيما حدده عن موضع دارة جلجل ، والذي أيده الشيخ الجنيدل ، بأن دارة جلجل التي ورد ذكرها في شعر امرىء القيس هي في منطقة الهضب . وليست بلدة جلاجل الحالية الواقعة في منطقة سدير . وأن المسافر بينهما بعيدة جدا .. وهـــذا الرأي هو الذي أثبته الشيخ ابن بليهـــد ، واختلف مع خالد الفرج عما أورده الأخـــير عن « دارة جلجل » .

كما انني لم أجد في شعر امرىء القيس مايدل على مروره بمنطقة سدير وجلاجل الحالية · والتي لم تكن قد أصبحت بلدا في عهده ·

كما أجدني في هذا مكتفيا عن ايراد أقوال : أبي الحسن الأصفهاني ، في كتابه بلاد العرب ، والهمداني في صفة جزيرة العرب ، وياقوت الحموي في معجمه والهجري ، وغيرهم ممن بحثها ، لأن الشيخ حمد في رأيه الذي أوردناه استوفاها ·

قدم المدينة ومن ذكرها من الباحثين :

تبين أهمية الموقع بما مر عليه من حقب تاريخية ، او بما عاصره من أجيال ، كان مرورها عليه بمثابة سجل تاريخي ، يرتبط ذكره بحياتهم . وتاريخه بما سجلته صفحاتهم من أعمال او جهود ·

والغالبية العظمى من تاريخ مدن وقرى جزيرة العرب ، لم تكتسب الشهرة التاريخية التي اقترنت بغيرها من الحواضر العربية ، ابان ازدهار الحضارة الاسلامية ، ذلك أن بريق الحضارة ، والرغبة في الجهاد وتوسيع دائرة الدولة الاسلامية ، جذب سكان الجزيرة فهاجروا ، الا أنهم أبقوا في أنفسهم ذكريات لمراتعهم ، ووفوا بالعهـــــد لملتقى عشائرهم ، ومرابع قبائلهم ، فسجلوا ذلك شعرا يتلى ، وذكريات تبقى ·

ومن هنا لا نجد المدينة تتسع ، بما يتلاءم وعمرها الزمني ، لاستمرار الهجرة ، ونقص موارد المياه ، وضيق مصادر الرزق · لكنها في العهد الحاضر تبدلت الحال ، وزادت الرقعة في فترة وجيزة ، أضـــعاف ما كانت عليه ، وبنيت مدن وقرى جديدة يجدر بنا تسجيل معلومات عنها من الآن ·

ومدينة جلاجل واحدة من المدن التي مضى عليها حقبـــــة من الزمن طويلة في وجودها وتأسيسها ، وهي وان كانت غير محددة البداية ، الا أن الدارس يستطيع استنتاج العمر التقريبي من المصادر التي ذكرتها :

١ ــ ذكرها الأصفهاني ، وهو من علماء القرن الثالث الهجري ، في كتابه بلاد العرب بقول الراجز :

تربعت جلاجلا كالســـــفطا

فجانبي روضة ارضا وسطا

وذلك في حديثه عن ديار بني أسيد .. وهذا البيت لا نأخذ منه دليلا بأنها قد أصبحت مدينة تسكن ، انما هي مكان للمتربع .. والمتربع عادة عند العرب المكان جيد النبت ، أو وافر المياه [انظر ص ٣٥٧] .

وفي ص ٢٥١ يذكر مساكن بني عوف بن مالك بن جندب ، بأنهم يسكنون واي الفقء ، الذي قال عنه الشيخ حمد الجاسر بأنه وادي سدير ، دو القرى الكثيرة ، وقد اعتبر الأصفهاني جلاجلا من ناحية الفقء .

كما اعتبرها في ص ٢٦٢ لبلعنبر .

وهذان الرأيان نستنتج منهما أن جلاجلا قد أصبح في عهده مسكنا لقبيلة ، ومورد ماء يقصد . لكن العمر الزمني للبنـاء لايزال في حاجة الى ما يدعمه أو يرجحه .

٢ ـ وذكر الهمداني [... ـ ٣٣٤هـ] في كتابه صفة جزيرة العرب في عدة مواضع ، وقد اعتبرها من بلاد وادعة النجـديـة ، مما يؤكد انه لا يعني بذلك هذا المكان الذي تهدف اليه بالذات . وانما يعني مكانا آخر غيره مما يلي اليمن من الديار النجدية [٢٥١ ، ٣٣٣] .

وفي ص ٤٢١ أورد بيتا فيه ذكر جلاجل ، ضمن أرجوزة أحمد بن عيسى الرداعي في الحج ، وهو من بلاد خولان باليمن ، ووصف في هـــذه الأرجوزة البلاد من صنعاء الى مكة في أرض نجد العليا .. وجاء على ذكر جلاجل . والذي قال عنه الهمداني [... ـ ٣٣٤هـ] ، بانه واد ضيق وهو في هذا يؤيد ما قاله آنفا ، بانه من ديار وادعة . قال الراجز :

اقـــول لمـــا اخـــذت جلاجلا

فضمها والوعث والجراولا [ص٤٢١]

وهذه الأرجوزة وان كانت قديمة الا أنها لا تحدد لنا مكانا تعنيه ، أو جهة نهدف اليها ، وهي جلاجل الواقعة بسدير ، لأنها ليست على طريق الراجز في ذهابه من اليمن الى مكة للحج ، الا أنه أيضا قد يكون مر بمكان هو جلجل ، وهذا مايرجح ماذهب اليه الشيخ محمد البليهد ، وحمد الجاسر ، وسعد الجنيدل .. حسبما أسلفنا بأن دارة جلجل بالهضب قرب الدخول وحومل وغيرهما من الأماكن التي ورد ذكرها في معلقة امرىء القيس .. وهي ذاتها في طريق الراجز من اليمن الى مكة في أطراف نجد الغربيـــة

[راجع الصفحات ٣٢٩ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٥٤ من كتاب صـــــفة جزيرة العرب] .

٣ ـ ومقبل الذكر [١٢٩٩ ـ ١٣٦٣هـ] يرى في مخطوطته التاريخية عن جلاجل ما خلاصته ، هي من اكبر بلدان سدير وقراها ، ولها ذكر في أشعار العرب ، وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان ، ولم يذكر أنهـــا بلد او قرية ، وقال : بانه ورد فيها شعر لذي الرمة [٧٧ ـ ١١٧هـ] وذكر جلاجل .. ثم قال ايضا .. وكانت بذلك الوقت ماء ينزله العرب ايام الصيف كعادتهم ، وفي القرن الحادي عشر كانت أقوى بلاد سدير ، ثم اثنى عليها كثيرا [ورقة رقم ١٤٢] .

فمقبل لم يحدد تاريخ سكناها كبلد ، ولا اول من عمرها ، لكنه يحدد انها موطن ماء قبل ذي الرمة ، الذي ذكرها في شعره ، وعادة العرب تحين أماكن المياه وورودها اولا ، ثم الرغبة في سكنى المكان واستيطانه لملاءمته وطيبـــه .

٤ ـ لكن الشيخ عبد الله بن خميس في معجم اليمامة يرى : أن جلاجلا قد أعيدت عمارتها في مكانها الحالي وبوضعها عام ٧٠٠هـ [١ : ٢٧٣] ، ومن هذا قد يتساءل القارىء عن العمر الحقيقي لها ، فمادام الشيخ عبد الله يرى أن هذا التاريخ هو وقت اعادة عمارتها ، فلابد أن أصل البناء أسبق من هذا الزمن بمدة قد تطول ، وقد تقصر ، الا أنه للطول أقرب ، فاندثار الديار ، ثم اعادة التعمير مجددا يستغرق وقتا طويلا في عمر الزمن .

وبالمناسبة فان البلد التي كانت تتصارع معها في حروب ومشادات هي الثويم القريبة منها ، حســـبما أورد ابن بشر [١٢١٠ ـ ١٢٩٠هـ] ، وابن عيسى [١٢٧٠ ـ ١٣٤٣هـ] ، وهذه قد بنيت عام ٧٠٠هـ كما أثبتها كل من ابن بشر ، وابن عبيد في تذكرة أولي النهى والعرفان [١ : ٦٧] . ومقبل الذكر [ورقة ٥٨] . وابن عيسى [ص٢٨] . وبه أخذ الريحاني [١٢٩٢ ـ ١٣٥٩هـ] ، كتابه نجد وملحقاته (ص ٢٧) .

وعلى العموم فهذا دليل على مكان صدارة جلاجل في سدير فترة من الزمن وقدمها ، فقد سبقت المجمعة التي اصبحت فيما بعد قاعدة المنطقة ، حيث أثبت مقبل الذكر في مخطوطته [ورقة ٥٥] ، والشـــــيخ عبد الله ابن خميس في معجم اليمامة [٢ : ٣٣٤] ، بأن المجمعة أول مابدىء عمرانها عام ٨٢٠هـ . وقد افرد لذلك ابن عيسى عنوانا مستقلا باسم عمران المجمعة (ص ٣٢ ـ ٣٣) .

٤ ـ والبكري [٤٢٣ ـ ٤٨٧هـ] في معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، مر بذكرها في حديثه عن جزيرة العرب ، فاورد في [٢ : ٣٨١] الشاهد من قول الأسود :

يقلن تركن الشاء بين جلاجل

وجزره قد هاجت عليه السمائم

وجزره لا تزال تعرف حتى الآن ، بأنها منتهى طويق من الشمال قرب الزلفي ٠

وبعد هذا الموضع بصفحات تحدث عن جلاجل ، وقال : بضم أوله ، وبجيم أخرى مكسورة على وزن فعالل ، أرض باليمامة ، قول ذو الرمة [٧٧ ـ ١١٧هـ] :

أيا ضبية الوعساء بين جلاجل

وبين النقا آءنت ام ام سالم

[٢ : ٣٨٨]

وهذا البيت قد ورد في أكثر المصادر ، كما جاء في ديوان ذي الرمة تحقيق وتعليق الدكتور عبد القدوس أبو صالح [٢ : ٧٦٧ ـ ٧٦٨] ، كما جاء في بيت آخر يحدد الموضع بالمكان الحالي حينما قرنه بالجو ، وفي منطقة سدير ، وقرب جلاجل منطقة تقارب هذا الاسم « جوى » تصغير جو ، وذلك في قول ذي الرمة [٧٧ ـ ١١٧هـ] :

أمن دمنه بالجـو جو جلاجل

زميلك منهـل الدموع جزوع

٥ ـ وابن فضل الله العمري [٧٠٠ ـ ٧٤٩هـ] في القرن الثامن الهجري ، يقول عن سكان العارض ، عائذ بنو سعد دارهم من حرمه الى جلاجل ، والتويم ، ووادي القرى ، وليس بالوادي المقارب للمدينة النبوية زادها الله شرفا ، ويعرف بالعارض ، ورماح ، والحفر ، وحدثني أحمد بن عبد الله الواصلي أن بلادهم ، بلاد خير ذات زرع وماشية بقرى عامرة ، وعيون جارية ، ونعم سارحة ، ولأرضهم بذلك الوادي منعة وحصانة ثم قال : وكان المظفر بيبرس الجاشنكير هم بقصده ، واللحاق به ، والمقام به ،

وان يكون فيه كواحد من أهله مرتزقا من سوائم الابل والشاء ، ثم انثنى رايه عن ذلك اخر الوقت • ولو وجه اليه وجهه ، كان أحمـــد لمنتجعه ، واوفى لعوده الى صلاح الحال ومرتجعه [مخطـــوطة مالك الأبصـــــار ٤ : ورقة ٩٠] •

٦ ــ ومحمود شكري لألوسي [١٢٧٣ ــ ١٣٤٢هـ] ، فقد أوردها في كتابه تاريخ نجد ، واعتبرها من بلدان سدير الهامة ، وعندما عدد بلدانه ومنها جلاجل قال : وكل هذه البلاد كثير النخيل ، والبساتين والمياه العذبة • وسكانها كسائر أهل نجد في العلم والأدب [ص ٢٥] •

٧ ــ أما الانجليزي ج• ج• لوريمر في كتابه دليل الخليج ، الذي وضع كتابه في نهاية القرن الميلادي الماضي ، فانه قد مر بجلاجل آنذاك • ورصد عنها المعلومات التالية في القسم الجغرافي : « جلاجل على الطريق بين المجمعة والتويم ، واقرب كثيرا الى الثانية ، وبها ٤٠٠ منزل منها ١٨٠ لبني تميم ، ١٥٠ للدواسر من شعبة البدارين ، يحيط بالقرية سور ، وتتالف كثير من المنازل من طبقتين ، وبها مزارع نخيل واسعة ، وأشجار الفواكه العادية ، والحبوب والبرسيم والبطيخ بوفرة ، وعمق الآبار هو ٦ ــ ١٤ قامة ، وليس بها خيول ، ثم يحصى عدد مواشيها [جـ٦ ص ٢٠٨٧] •

٨ ــ وصاحب كتاب لمع الشهاب يعتبرها بلد الامارة في سدير فترة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب [العجلاني ص ٣٨٣] وهو ممن زار البلد فيما يبدو [ولمع الشهاب ص ١٤٩] •

المشاركة في التسمية :

مر بناء في هذا العرض آراء توضح أن « جلاجل » تطلق علما لعدة أماكن ، مما يدل على أن هذه التسمية جاءت من الوضع اللغوي •• وهذه الأراء تتلخص في :

١ ــ رأي سعد بن جنيدل ، الذي حدد فيه دارة جلجل ، وقال : ان في الهضب جبال تسمى « جبال جلاجل » ، ورجح أن هذه التسمية محرفة من دارة جلجل ، لتقارب الموضعين • كما قال بأن بين هذه الجبـــال دارة تسمى : روضة جلاجل •

٢ ـ الموضع الذي اشار اليه خالد الفرج في رده على الشيخ محمد البليهد ، بانه قريب من أبها ، يعرف بدارة جلجل .. ولم اجد ما يؤيد هذا المكان ، فلعله يريد الموضع الذي سنشير اليه بـ « ٣ » .

٣ ـ أورد الهمداني في صفة جزيرة العرب ، ذكرا لموضع يسمى جلاجل في أرجوزة الادمي وقال عنه : بانه واد ضيق .. وهو في هذه الأرجوزة يحدد موضعا في ارض نجد العليا ، في طريق القادم من اليمن الى مكة المكرمة للحج .

٤ ـ جلاجل : جبل في الدهناء ، قال عنه ياقوت الحموي [٥٧٤ ـ ٦٢٦هـ] في معجم البلدان .

قال الأزهري : جلاجل بالضم وكسر الثانية ، جبل من جبال الدهناء ، وانشد لذي الرمة :

ايا ظبية الوعساء بين جلاجل

وبين النقاء آءنت ام ام سالم

[٢ : ١٤٩]

لكن الشيخ عبد الله بن خميس في معجم اليمامة قال : وهذه البنية تطلق على علمين : أحدهما نقا من أنقية الدهناء ، ذكره ذو الرمة ، ثم ذكر البيت ، وقال بعده : وأنا لا أعرف نقا في الدهناء يطلق عليه هذا الاسم ، ولا شك انه قد اندرس فيما اندرس من أسماء الأعلام [١ : ٢٧٣] والآخر البلد المعروفة .

٥ ـ جلاجل بفتح الجيمين ، ذكره الشيخ حمد الجاسر في المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية بانه مياه الدواسر في الهضب بمنطقة وادي الدواسر في امارة الرياض [١ : ٢٥٥] .

٦ ـ وجلاجل البلد المعروفة التي نحن بصددها قال عنها الأصفهاني [... ـ ٢١٠هـ] في كتابه بلاد العرب : كان قديما لبني عوف بن مالك ابن جندب من بني العنبر من تميم [ص ٢٥١] . وقال في موضع آخر ، ثم بطن الحريم ، وهو وادي وادي لبلعنبر بالفقء . ثم زلفة وهي لهم ايضا ، ولهم جلاجل [٢٦٢] .

مكانتهـــا :

لما كان الشعر من الشعور ، وهو الســجل الراصد لحيـــاة العرب واحاسيسهم ، فان الأبيات القليلة التي مرت بنا عرضا ، وأبيات من الشعر النبي جاءت لأكثر من شاعر ، أورد مقبل الذكير جزءا منها ٠٠ نشم من ذلك ما تحتله جلاجل من مكانة في المنطقة ، وما تتميز به من خصب ونماء في المجال الزراعي ، اذ تعتبر قصبة المنطقة فترة من الزمن ٠

ثم حفلت به من منافسات في المكانة والزعامة مع ما يجاورها ٠٠ كما أثبت هـــذا كل من الفـــاخري [١١٨٦ ـ ١٢٧٧هـ] ، والمنقـــور [١٠٦٧ ـ ١١٢٥هـ] ، وابن بشــر [١٢١٠ ـ ١٢٩٠هـ] وابن عيسى [١٢٧٠ ـ ١٣٤٣هـ] ٠

ولم تكن لتحتل هذه المكانة ، وتحظى بمثل تلك المنزلة من الاهتمام والرصد ، لولا أنها أهل لذلك ، نموذج هذا ماذكره الفاخري في عـــام ١١٤٢هـ ، بأن صاحب جلاجل أخذ التويم ، وفي نفس العام ملك محمد ابن عبد الله راعي جلاجل الحصون ، وأمر فيه بن نميط [الأخبـــار النجدية ، ص ١٠٢] ٠

ومن جهة أخرى فقد أقام بهـــا الملك عبد العزيز رحمـــه الله [١٢٩٧ ـ ١٣٧٣هـ] عدة أيام في عام ١٣٢٠هـ يجند الجند ، ويستنفر العربان ، ويعد العدة لملاقاة ابن رشيد في القصيم ، وكان قد سبق باكثر من شهر تشكيل سريتين خارج الرياض احداهما في جلاجل [راجع تاريخ ملوك آل سعود لابن هذلول ص ٦٦ ـ ٦٧] ٠

وقد يكون من تمكينها تاريخيا واجتماعيا ، ارتباطها برجلين :

ـ الشيخ عثمان بن عبد الله بن عثمان بن حمد بن بشر ، الذي ولد بشقراء عام ١٢١٠هـ ، ثم سكن جلاجل ، أو ولد في جلاجل حيث سكنها والده قبله قادما من شقراء ، على خلاف في هذا بين من تعرضوا لترجمته بالبحث ، الا أن الرأي الثاني القائل بأنه توفي في هذا العام عبد الله بن عثمان بن بشر ببلدة جلاجل ، وهو والد الشيخ عثمان مصنف كتاب عنوان المجد [العرب ص ٨٨٣] ، ويكون عمره وقت وفاة والده خمس سنوات ٠

وقد بقيت أسرته في جلاجل ، ومنه تفرقت في الآفاق ٠ ولايزال بيته موجدا ومعروفا في جلاجل ، وهو مؤلف كتاب عنوان المجد في تاريخ نجـد

جزءان ، وهو أعظم مرجع في تاريخ نجد ، ومنه يستمد كثير من الباحثين الذين جاءوا بعده .

لقد أعطى هذا المؤرخ أهمية لجلاجل ، فرصد كثيرا من أحداثها التي تدل على جذور تاريخية ، وقد ذكرها في ستة وثلاثين موضـــما من تاريخه المذكور .. وهذه المكانة لم تحظ بها كثير من المدن ، وماذلك الا لكثرة أحداثها ، وخلافها مع من حولها من البلدان وقد توفي هـــذا المؤرخ عام ١٢٩٠هـ في بلد جلاجل كما أثبته ابن عيسى في أحداث هذه الســـنة ، [ترجمته في مجلة العرب جـ١٠ ربيع الثاني عام ١٣٩١ ، وكتاب عثمان ابن بشر منهجه ومصادره للدكتور عبد العزيز الخويطر ، والأعلام للزركلي ٤ : ٣٧١ ، وعلماء نجد لابن بسام ٣ : ٧٠٠ وغيرهـــا من الكتب التي اهتمت به] .

كما أن المؤرخين المنقـــور [١٠٦٧ ــ ١١٢٥هـ] وهو من حوطة سدير ، والفاخري [١١٨٦ ــ ١٢٧٧هـ] وهو من التويم ، ثم حرمه ، وابن عيسى [١٢٧٠ ــ ١٣٤٣هـ] وهو من أشـــيقر قد أولوا جلاجل في تواريخهم اهتماما لا بأس منه ، مصدره اهتمامهم بالشيخ عثمان بن بشر وتاريخه .. ومن ناحية أخرى فلقرب بلدانها من جلاجل .

ــ وسويد بن علي ، الذي كان له دور فعال في مساعدة الامام تركي ابن عبد الله في خروجه ثم ابنه فيصل بن تركي بن عبد الله [...ــ١٢٨٢هـ] للأخذبثار أبيه الامام تركي بن عبد الله [... ــ ١٢٤٩هـ] الذي قتل عام ١٢٤٩هـ .. لأن سويد هذا من أشجع الرجال وأقواهم [انظر نجد وملحقاتها للريحاني ص ٩٣] ، وحوادث ١٢٤٩هـ عند ابن بشر ، كما أن حسين أبو ظاهر في حملته على نجـــد عام ١٢٣٦هـ ، وخروجه من مصر قاصدا الدرعية لهدمها للمرة الثانية ، ليطمئن الباب العالي بأن هذه البلد التي أخافتهم لن يقوم لها قائمة ، قد أخذ سويد هذا مع من أخذ من زعماء مدن نجد ، واصطحبهم معه للدرعية ليضمن عدم تحركهم ضده .

ان بعض الأشخاص قد يعطي من سمعته أو مكانته ، أو علمه نورا ساطعا للبلد الذي ينتمي اليه ، أو يرتبط اسمه باسمه .

فابن بشر قد جمع ورصد من المعلومات المهمة لجلاجل ، ما تفتقر لمثله كثير من البلدان ، ولن نسترسل في عرض ذلك خشية الاطالة ، لأن بعض الأخبار المقتضبة تستلزم الشرح والمقارنة ، أو التحليل والمناقشة ، وذلك

خشية الاطالة .. ولمن أراد المزيد فعليه الرجوع اليه في موضعه .. لكن الذي يحسن الاشارة اليه ، أن هذه البلد ، بل منطقة سدير ، لم تكن في طريق الحملات المصرية والتركية على نجد ، ولم تحظ بالتركيز كما هو الحال بالنسبة للدرعية ومايجاورها .. لأن هدفهم القضاء على الزعامة السعودية في المنطقة ، ولذا يحرصون على اصطحاب رجالات المنطقـــة البارزين في حملاتهم ، ومن هؤلاء رئيس جلاجل لثقلهم ومكانتهم في المجتمع .

وابن بشر الذي عاصر تلك الأحداث ، قد رصدها رصدا دقيقا ، وذكر المهم والبارز فيها ، الا أنه أعطى عن منطقة سدير وجلاجل معلومات ضافية ، اجتماعية ومعيشية ، فيما يتعلق بالهجرة ، والنزوح للزبير بسبب القحط ، وعما يمر بالمنطقة من ظواهر طبيعية ، وعن المشاحنات التي تنشب من أجل الزعامة المحلية أو الخصومات الفردية في جلاجل وما يجاورها .. وحكم الفاخري في هذا حكم ابن بشر لقربة من جلاجل .

ومن ثقافة ابن بشر واطلاعه ، وولعه التاريخي نستنتج مكانة جلاجل في عصره ، ومركزها العلمي والاجتمـــــاعي ، الى جانب مركزها الزراعي والعشائري في المنطقة .. فهي بلد يشار اليها بالبنان ، ولعل أول ســـنة جاء ذكرها عند ابن عيسى في كتابه وصف بعض الحوادث في نجد نقــــلا عن ابن بشر أيضا هو عام ١٠٦٩هـ ، التي ذكر فيها ظهور الشريف زيد بن محسن الى نجد ، ونزوله قرى التويم المعروف بين التويم وجلاجل ، وانه قدم في سدير وأخر ، وأخـــذ وأعطى [عنوان المجــــــد ٢ : ٤٠٢] ، [وابن عيسى الحاشية ٦٠] ، [والمنقور ٥٠] .

وثقل جلاجل في المنطقة يتمثل أمام القــــارىء في اثباتات تاريخية يثيرها ابن بشر ومن جاء بعده .

في ١٢٢٩هـ وقع وباء حمى في بلدان سدير مات فيه خلق كثير واكثر من مات في بلد جلاجل ، مات منهم أكثر من ستمائة نفس فهو يقول : وفي حوادث عام ١٢٣٥هـ موضحا أن الصلح قد انتقض بين أهل سدير ، ورئيس جلاجل : وذلك أن محمد بن عبد الله بن جلاجل ، الذي كان أبوه أميرا في جلاجل في زمن عبد العزيز بن سعود ، على جميع بلدان سدير كما تقـــدم [٢ : ٢٥٣] .

ومع ما مر على البلد من صراع وحروب ، الا أننا لم نجـد تاريخا ثابتا لبناء سورها ، وعما اذا كان قد هدم ، وقام غيره على أنقاضه ، أو في

مكان آخر ، وهذه ثغرة من الثغرات التاريخية الكثيرة في سجلات البلد ، والمنطقة عموما ..

أما قصرها الذي تتمثل فيه زعامة البلد فهو وان كان غير محدد المعالم الآن ، فقد ذكره ابن بشر أكثر من مرة ، ومما فهمته من بعض شيوخ البلد بأنه يقع في وسط البلد ، وسوف أتحدث عنه في وصف البلد .. ولكنه في نظري يرتبط بسويد بن علي .. أما ما قبله فقد يكون قصرا قد انمحت آثاره .. وجاء هذا الذي يعتبر حاليا كما رأيته بحالة جيدة .

مكانتها العلمية :

كانت جلاجل ابان نشاط دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب [١١١٥ ـ ١٢٠٦هـ] وما بعدها كغيرها من كبريات المدن في نجد ، منارة علم ، وموطنا لكثير من العلماء ، ومدرسة يتخرجون منها .. كما كانت في عهد الدولة السعودية الثانية وفترة من عهد الملك عبد العزيز مقرا للقضاء في سدير .. وممن حفلت به جلاجل من العلماء :

١ ـ الشيخ عبد الله بن سليمان بن عبيد قاضي جبل شمر زمن الامام سعود بن عبد العزيز ، وقد توفى عام ١٢٤١هـ في جلاجل ، بعد أن عاد اليها وسكنها بعد خراب الدرعية [عنوان المجد لابن بشر ٢ : ٥٥٩] .

٢ ـ الشيخ محمد بن عبد الله السويكت ، الذي انتقل اليها من أشيقر بناء على طلب أهالي جلاجل لما عرفوا من مكانته في الفقه ، فأقام فيها قاضيا ومدرسا خواص الطلاب ، وواعظا للعامة وافتائهم حتى توفى في جلاجل ابان انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب [علماء نجد خلال ستة قرون لابن بسام ٣ : ٨٧١] .

٣ ـ عثمان بن بشر العالم والمؤرخ المشهور الذي مر ذكره .

٤ ـ الشيخ عبد الرحمن بن عبيد الذي خرج من جلاجل للزبير وتوفي هناك ، وقد جاء في اجازة شيخه أحمد بن صعب له تزكية جيدة ، وايضاح بأن الزبير مليئة بمجموعة من طلبة العلم من أبناء بلده ، الذين يجمعون بين طلب العلم والمعيشة [انظر المرجع السابق ٢ : ٤٠٩ ـ ٤١٠] .

٥ ـ الشيخ أحمد بن عثمان بن جامع الذي توفي في الزبير عام ١٢٨٥هـ [المرجع السابق ١ : ١٧٥] ٠

٦ ـ الشيخ سليمان بن محمد بن جمهور الذي ولد في جلاجل عـــام ١٢٦٥هـ ثم هاجر للزبير والهنـــد وتوفي بجلاجـــل عـــام ١٣٦١هـ [المرجع السابق ١ : ٣١٩] ٠

٧ ـ الشيخ عثمان بن عبد الله بن جامع المتوفي عام ١٢٤٠هـ في البحرين [المرجع السابق ٣ : ٧٠٤] ٠

وامتدادا لهذه الجذور فقد كان منها علماء في عهد الملك عبد العزيز ٠٠ ذكر الشيخ عبد الله بن خميس بعضهم ، ونشير هنا لأسماء بعضهم اشـارة لا حصرا :

ـ الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري الذي سكنها فترة من الزمن قبل استقراره في المجمعة ولايزال بيته معروفا في جلاجل ٠ ومن علمـــاء سدير الذين ذكرهم الشيخ عبد الله : الشيخ علي بن زيد ، والشيخ سليمان ابن جمهور ، والشيخ ابراهيم بن نفيمش ، والشيخ منصور بن عمران ، والشيخ ابراهيم بن فائز ، والشيخ أحمد بن عبد العزيز الســـليمان ، والشيخ عبد العزيز بن سلمان ، والشيخ محمد بن الأمير ، والشيخ محمد ابن الأمير ، والشيخ ابراهيم بن واصل ، والشيخ عبد العزيز بن سعيد ، والشيخ محمد بن سليمان ، والشـــيخ عبد الله بن غانم وغيرهم كثير [معجم اليمامة ١ : ٢٧٥] ٠

قصة طريفــة :

حكى ابن بليهد في كتابه صحيح الأخبار ، هذه النادرة التي هي متعة للقارىء أكثر من كونها سجلا تاريخيا ، قال : بانه في عام ١٣٤٨هـ دخل جده ، فوجد رجلا من أهل الشام ، وهو من سكان جده ، وجلس عنده ، فقال للشيخ ابن البليهد : هل تعرف عبد الرحمن السبيعي ؟ ٠ أجابه : أعرفه ٠ قال : هل تعرف جلاجل ؟ ٠ فأجاب : نعم أعرفه ٠ ولكن هـــذه التساؤلات ما أسبابها ؟ ٠ فقال : جاء في هذا المحل ، وجلس عندي فقلت :

يا ســـلج يا جلاجل   يا برد ما القاعيـــه

ثم قلت له : هل تعرف جلاجل وسلجه . والقاعية وبرد مائها ؟ . فقال أعرفها .. فان كان الله سلمني أن يأتيك وأنت في هذا المحل تنكة تمر من سلج جلاجل ، ويأتيك تنكة ماء من ماء القاعية .. فلازلت في انتظارهما .. وأوصاني ان رأيت عبد الرحمن السبيعي فبلغه خبري ، ثم اتجهت به ، فبلغته ذلك ، فقال : قد عمدت ابن عمنا عبد العزيز السبيعي الساكن بلد جلاجل ، أن يبعث لنا تنكة تمر من سلج جلاجـــل ، وتنكة ماء من ماء القاعية . والقاعية منهل من مناهل البطينيات المشـــهورة ، وتعرف بهذا الاسم القاعية [٥ : ٢٠٨] .

وصف البلد وسورها :

تتكون جلاجل من عدة حارات .. وهي عبارة عن قرى متلاصقة .. وكل حارة أو حي له سور مستقل وبه تحصينات .. ومكان التجمع ، ومركز الثقل الديرة ــ وتسمى الجنوبية ، ويشملها سور البلد الكبير والحصين .. والى شرقيها توجد الحويطة السفلى .. لايزال بها آثار سور قديم متهدم ، وهناك اعتقاد بأنها هي البلد القديمة ، وأن البلد بعدما جدد بناؤها في فترة من فترات الزمن انتقل الى الموضع الحالي .

والحارات التي تتكون منها جلاجل بعضها داخل السور ، وبعضـــها خارجه وبعضها له سور مثقل ومن القرب المـــلاوة . ومن الشمال : الشمالية ، المنقع . الراجعية ، أم حزم .

وقد نمت البلد من الناحية الغربية في رقعة واسعة . أطلق عليهـا اسم الشعيبة .

ومبانيها كما هو السائد في أنحاء نجد من الطين الحر . لا يهتم السكان بقوته ومكانته ، ولذا فهو لا يصمد لعوامل التعرية كثيرا ، فتنال من الأمطار والرياح ، وبقدر ما يبقى يزداد سنوات العمر الزمني ويصح اعتبار الآثار قريبة المدى في العرف التاريخي ، والأثري مفقودة ، لكن الباحث لا يعدم وجود تراث مطمور تحت الأرض ، كشاهد على حضارات سابقة .

الا أن المؤشر الزمني السابق للاسلام قليلا ، ثم التالي له ، لا يعطينا حتى الآن اشارة عن آثار في هذه المنطقة ، وما يجاورها ، والبحث يحقق هذا أو ينفيه . ولعل ادارة الآثار تعطي معلومات جديدة بعد اطلاعها على الكتابات المحفورة على حجر في حدود ٥ كم وهي غير عربية . ويسمى هذا

الموقع « حصاة القريف » .. في اتجاه المسافر الى المجمعة . يعطينا ناحية جديدة ، عن تاريخ البلد والمنطقة .

تقع جلاجل في منحدر وادي المياه ، الذي يرى بعضهم بأنه هو وادي الفقء الوارد ذكره عند الهمداني وغيره .

وهي بلد زراعيـــة تكثر فيها أشجار النخيـــل .. تزداد أهميتها الزراعية ، ورغبة الناس في البقاء فيها . كلما ازدادت نســـبة المياه في البلد ، من توفر الخير ، وكثرة الأمطار .. وبعكس هـــذا كلما نقصت المياه ، وجفت الآبار ، هاجرت الأفواج البشرية ، منها خاصة ، ومن سدير عموما ، في موجات متعددة الى الزبير والبصرة ، والخليج وغيرها من الأماكن وفي استعراض ابن بشر كثير من تلك الشواهد . ثم الى الرياض في وقتها الحاضر . في الحويطة المحاطة بسور مستقل ببيوت متراصة ، وآثارها تدل على أنها من دورين ان لم تزد .. وقد رأيت بها بقايا مسجد في طابقين ، يدل على ازدحام السكان في هذه المنطقة ، وكثرتهم في يوم من الأيام .

وبنظرة عاجلة على سور الحويطة نجـــده مكونا من سورين ، وليس واحدا ، سور خارجي يحتوي الحي السكني ، ومزارع النخيل القليلة ..

وسور داخلي سميك ، في حدود ذراعين سمكا بعد مرور الســـنين ، وعوامل التعرية ، مما يدل على أنه في أصله ضعف هذه السماكة ، وهـــذا السور قليل الأبراج « المناصير » يحيط بالحي السكني فقط .. مما يدل على اهتمامهم بالحراسة والاستحكامات .

أما معالم مدينة جلاجل .. فقد تراءت أمامي في :

١ — برج عال في شرقي البلد ، على جبل مرتفع ، ويفصل هذا الجبل عن البلد ، واد واسع ، ومساحات أرضية ..

يسمى هذا البرج « مرقبا » وله أهمية في الرقابة والاستشراف ، على الأراضي المتباعدة عن البلد . تحسبا لأي هجوم على البـــلد ، حيث ان العادة قد جرت ، بأن يتولى الحراسة في مثل هذه الأبراج الرجـــال الذين يتصفون بسمتين بارزتين : الشجاعة ، وحدة الابصـــار . حتى يستطيعوا الدفاع العاجل ، وانذار أهل البلد عن أي خطر ..

هذا البرج مبني من الحجارة السميكة ، ارتفاعه في حدود ١٢ مترا ، يسيطر الصاعد في أعلاه على المناطق المحيطة بالبلد بالرؤية ، والاشراف ، وعلى الطريق الموصل الى التويم بصفة خاصـــــة ، حيث تناله البنـدقية العـــادية ٠

وفي جنوب البلد جبل أخر يتحـــكم في الطرق الجنوبية ، والغربية الجنوبية ، ومرتفع له أهمية المحافظة ، ولا يقل عن البرج السابق بالمكانة والدور ، عالي الارتفاع ، يعرف باسم « أم عتيق » وفي نظري أنهم تركوا بناية برج فيه ، لحصانته ، وارتفاعه ، وصعوبة الارتقاء الى قمته ٠٠

٢ ـ سور البلد القديم ، فبلد ذات أهمية ، ولها عداء مع جيرانها ، ونزاع حول السلطة بين الأفراد فلابد أن تحمي نفسها ، بالتحصينات ٠٠ ومن أهمها السور ، الذي يحمي البلد والمساكن ، وبعض المزارع والنخيل ٠

لقد تهدم أغلب هذا الســــــور ، وانمحت بواباته ، ولكن العارفين لمواقعها من كبار السن يوضحون : أن للبلد ثلاث بوابات هي : باب البر في الجهة الغربية ٠٠ ويسمى بهذا الاسم لأنه يعطي الخارج معه اتجاها الى البر الغربي عن البلد ٠٠ اذ لا قرى عن البلد غربا ٠

وباب الشمالية : في الجهة الشمالية من البلد ، ويقابل الخارج معه الجزء الثاني من البلد الذي يسمى الشمالية ، وبينهما مسافة قليـــــلة جـــدا ٠

وباب السراحية : في الجنوب الشرقي ، ولم يتضح لي سبب تسميته بهذا الاسم ، وقد علل أحد المهتمين من أبناء البلد ذلك أثناء حديثي معه ، بأنه المكان الذي تسرح معه أغنام البلد ٠ أو قد يكون سمي باسم المزرعة المجاورة لهذا الباب من الناحية اليمنى للخارج من البلد ٠ هذا الســـور سميك البناء ، وقد رأيت أحد مقاطعه ، وهو في حدود ثلاثة أمتار سمكا ولابد أن تكون عوامل التعرية ، والأمطار قد أخذت ثلثه تقريبا ، ومن هنا نقرر أنه في أصله في حدود ٤ اربعة أمتار ٠٠ مبني من الطين على هيئة عروق ٠٠ وارتفاعه في حدود ٧ أمتار في أصله ٠٠ أما الموجود حاليا فيبلغ سبعة أمتار في بعض المناطق ٠

بهذا السور مجموعة من الأبراج البارزة والمهيأة للحراسة ، بارتفاع ١٠ أمتار تقريبا ويبلغ عدد هذه الأبراج المربعة المدورة الشكل « ٣٥ »

برجا ، ويسمى الواحد منها « مقصورة » ، وجمعها « مقاصـــير » ٠ قد هيئت للحراسة بشكلها وبنائها ، ومواطن الرماية فيهـــا ، ذات الثقوب الصغيرة ، بقدر نفاذ النظر ، وفوهة البندقية ٠

لها أبواب من داخل السور بحيث يسهل التبادل في الحراسة بين أهل البلد ، دون أن ينكشفوا لأعدائهم ٠

٣ ـ قصر سويد بن علي ، وقد أشرت في مكان سابق ، بأنني أشك في أصله ، واعتبر قصر جلاجل الذي عليه تنازع السلطة ، كما في تاريخ ابن بشر ، والفاخري غير هذا ٠٠

ان هذا القصر لايزال بحالة جيدة ، قوي البنيان ، شديد التماسك صغير الحجم ، يقع في وسط البلد ، قرب الجامع الكبير ٠٠ وأتوقع أنه بني في حدود ١٢٥٠هـ بعدما عينه الامام فيصل بن تركي أميرا لبلدة جلاجل ٠

لقد لفت نظري في هذا القصر أشياء مهمة ٠٠ مما يحدوني الى المطالبة بالمحافظة عليه ورعايته :

(أ) قوة بنائه ، ونوعية تصميمه ، سماكة الجدار وهو من الطين الذي لم يتأثر بالعوامل الزمنية مع طول العهد ، من الداخل بحوالي ١½ ذراع ونصف ٠٠ أما الجدار الخارجي فلا يقل في سمكه عن ثلاثة أذرع ٠

(ب) يعتبر في تصميمه صورة مصغرة لقصر هشام بن عبد الملك في أريحا بالأردن ، والذي يعتبر من المعالم الأثرية هناك ٠٠ فهو يشابهه في المدخل وفي الأرائك المبنية من مادة بناء القصر هنا بالطين ٠٠ وهنـــاك بالحجر ، على اليمين والشمال ٠٠ وفي الغرف في مدخل القصر على الشمال ٠٠ والأمام ٠٠ مما يدل على الفن العربي في البناء ، وان تباعدت المســـافة يأخذ بعضه من بعض ٠٠ لأن المصدر واحد ٠

(جـ) علو السقف ، بحيث أن الدور الواحد منه ، بمعدل دورين من غيره ، مع حصانته ، وقوة استحكامات الأبواب والجدران ٠

(د) يوجد بجواره من الجهة الشمالية بيت مخصص للواردات بمثابة بيت للمال ، والى شرقه بيت آخر مضافة ، يفصلهما عن القصر طريقان ضيقان نوعا ما ٠٠ ويربطهما بالقصرين أعلى جسرين عن طريق السطوح .

لابد أن ذلك قد روعي فيه الاهتمامات الحربية . . لأن الاستيلاء على القصر يعني انقياد البلد لما يبين مثل هذا في كلام ابن بشر في تاريخه .

٤ ـ بالبلد بيتان لايزالان بحالة جيدة هما بيت الشيخ عثمان بن بشر المؤرخ المشهور ، وبيت الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري ، العالم الضليع ، وقاضي سدير منذ بداية عهد الملك عبد العزيز . وهما متواضعان في تصميمهما ، وبنائهما ..

أما أبراج ومقاصير ، وبوابات سور الديرة ـ أو الجنوبية .. فقد تهدمت منذ زمن ، ولا يوجد لها بقايا تدل عليها .. الا أن مواقعها لاتزال معروفة .. وارتباطها بالسور عليه علامات طفيفة ..